تطبيق منهج النقد الاجتماعي

يقوم المنهج النقدي الاجتماعي على مبدأ مهم وهو بحث الجوانب الاجتماعية التي أثرت أو من الممكن ان تكون لها علاقة بنتاج كاتب او فنان صاحب منجز ابداعي , ويقوم هذا المنهج على دراسة العوامل التي أثرت على تكوين الشخصية او طبيعة الحياة التي عاش خلالها الفرد وانحداره الطبقي ونوع السلالة التي ينتمي لها أضافة الى تأثير اللحظة الزمنية أو الجانب التاريخي على صناعة المنجز الإبداعي , ومن خلال ما تقدم فأننا لو سلطنا هذه الجوانب على أي نتاج ادبي أو فني فأننا سوف نستخلص الطبيعة الاجتماعية التي أثرت على الفنان أو الأديب والتي سوف تفيدنا بتحليل المنجز على وفق المنهج الاجتماعي .

لو أخذنا مسرحية (بيت الدمية) للكاتب المسرحي النرويجي (هنريك أبسن) وهي مسرحية تنتمي للمذهب الطبيعي في الفن وحاولنا ان نحللها على وفق المنهج الاجتماعي فأننا سوف نبدأ بكاتب المسرحية أبسن ونحاول ان نبحث عن حياته التي عاشها واهتماته الحياتية التي أثرت عليه وعلى أعماله ومن هنا سوف نجد أن شخصية أبسن الحقيقية تعد مثالا فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي تحديدا حيث لقب أبسن بكونه أبا للمسرح الحديث حيث انتهج الواقعية في أعماله المسرحية , فقد تطرق ابسن إلى قضايا واقعيه وخطيرة يعانى منها المجتمع الأوربي ، كما تناول قضايا إنسانيه خالدة تشغل الإنسان عبر العصور مثل قضية ماهية الحقيقة والفارق بين الحقيقة والواقع أو الصراع بين الواقع والمثال وقضية النفاق الاجتماعي وغيرها من القضايا التي تثيرها أعمال إبسن المسرحية والتي ليس بالضرورة أن تضع لها حلولاً وهكذا نجد أن دعوة إبسن الاجتماعية في معظم أعماله دعوة إلى الاعتدال والوسطية ورفض للتطرف في كل شيء ، كما أنها دعوة للكشف عن أقنعة الزيف الاجتماعي ونبذ النفاق على حساب المبادئ الأساسية التي تضر بالفرد والمجتمع ، ومن هنا جاءت مسرحية (بيت الدمية) لتجسد هذه الجوانب التي ميزت أبسن ففي هذه المسرحية يطرح أبسن قضية العلاقة الزوجية بين امرأة مكافحة تحاول أن تفعل كل شيء من أجل بيتها واسرتها وبين زوج متعالي لا يقدر تضحيات زوجته , وفي هذه المسرحية يكشف أبسن عن حقيقة مهمة جسدتها (نورا) بطلة المسرحية التي كانت من ناحية التعليم أقل شأن من زوجها المثقف لكنها بالنتيجة كانت أكثر تضحية وأكثر وفاء لمبادئ العلاقة الزوجية من ذلك الزوج الأناني الذي كان يبحث عن تجميل صورته الاجتماعية اكثر من حرصه على تماسك اسرته وبيته ولذلك فأن (نورا) تطلق صرخة احتجاج عارمة على حياتها مع ذلك الزوج عندما تخرج من بيتها صافقة باب المنزل بقوة وهي تقول لزوجها أن أرفض أن اعيش في منزل كنت فيه دمية تحركها كيف ما تشاء دون أن القى الانتباه والاهتمام المطلوب فضلا عن المعاملة التي تستحقها زوجة مكافحة ومحبة مثلي , لقد مزق أبسن من خلال هذه المسرحية أقنعة الزيف الاجتماعي ودعا من خلال المسرحية الى حالة من الوسطية والاعتدال فيما يتعلق بالعلاقات الزوجية والمجتمعية على حد سواء بعيدا عن التعصب وبعيدا عن التقاليد التي كانت تنظر للمرأة بنظرة أقل شأنا من الرجل .

وفيما يتعلق بالجانب الاجتماعي في الفن التشكيلي فأننا سوف نأخذ اعمال الفنان الفرنسي (ليون ليرميت) كنموذج مهم فيما يتعلق بالتحليل الاجتماعي للإعمال الفنية التشكيلية , وكما مر بنا انفا فأننا سوف نبحث في حياة ليرميت وننطلق منها لتحليل اعماله , ولد ليون ليرميت في إقليم (أنْ) الفرنسي في عام ١٨٤٤ وفي صغره كان والده أول مِن شجعه على ممارسة الرسم بعد أن رأى براعة ابنه في نقل رسومات المجلات بدقة وقد شرع ليرميت بعد ذلك في دراسة أعمال الرسامين الفرنسيين وبخاصة الواقعيين منهم وقد ساعدت موهبة ليرميت في منحه منحة دراسية لدراسة الفن في باريس حيث شاهد هناك العديد من الفنانين والرسامين الذين اكتسب منهم الكثير من الجوانب التي أثرت في حياته الفنية , مال ليرميت في لوحاته لتصوير حياة الناس وبخاصة حياة الناس في الريف الفرنسي ولو أخذنا لوحة (جامعو الحصاد) التي رسمها ليرميت عام ١٨٩٨والتي صور من خلالها نساء الريف الفرنسي وهن يقمن بالحصاد حيث

The Gleaners, 1898

أظهر ليرميت الفلاحات وهن منحنيات تعبيرا منه عن المشقة التي يلاقينها في العمل وحجم المعاناة من أجل كسب القوت , في هذه اللوحة يبرز لنا ليرميت كفاح الانسان من أجل لقمة العيش ومن أجل تأمين حياته رغم قسوة الظروف الاجتماعية التي تفرض تحكم فئة ملاك الأرض بالسواد الأعظم من الناس

وبشكل غير عادل , أن هذه اللوحة لم ترسم من أجل المتعة الفنية فقط بل رسمت لتجسد واقع اجتماعي مرير حاول الفنان نقده وتبيان مساوئه على المجتمع حينها وبهذا جسد الفنان ليرميت مقولة مهمة من مقولات النقد الاجتماعي وهي أن الفنان والأديب هو أبن بيئته يعبر عنها ويتفاعل مع قضاياها المصيرية وعن كل ما تشعر به بوصفه منتميا لتلك البيئة ومدافعا عن حقوق الناس عن طريق الفن الذي يمثل نشاطا انسانيا مهما كان ولا يزال له صوتا وصدى مسموع .